الإشتراك اللفظي في أبحاث المحدثين

د.حارث مبين *

The article focuses on the efforts of modern Arab philologists in phenomena of homonymy in Arabic language. The abundance of homonyms is closely connected with characteristic feature of the Arabic language as the phonetic identity of word and stem. Although, it is very small part of language but it accounts for a very important position in semantics and assist one in grasping the real concepts of words in its proper context. In this research paper, the ideas of modern Arab linguists have been analyzed in homonymy with their short introductions and their endeavors in philology, some prominent of these are as: al Shoukani, al Alosi, Muhammad Abduhu, Muhammad al Mubarak, Muhammad Hussain al Yasin , Ramadan AbduTawab, Ameel Badee Yaqoob, Ibraheem Anees , Ali Abul Wahid Wafi and Taufeeq Muhammad Shaheen etc.

إن البحث الدلالي في علاقته بالألفاظ من أشرف البحوث التي تناولها العلماء المسلمون القدامى و المحدثون في كتبهم ،واهتدوا في دراستهم لها إلى نتائج يعتمد عليها في فهم النصوص الشرعية و استنباط الأحكام منها.إن الإشتراك اللفظي علامة واضحة في اللغة العربية وهو بكثرته خصيصة لها،وعامل من عوامل تنميتها. وقد تنبه العلماء له و أشاروا إلى شواهده،والمعاني التي تدور ألفاظه حولها. إن العلماء المحدثين قد أضافوا على أبحاث القدامى و أكدوا موقفهم خلال بحوثهم في الإشتراك اللفظي و اختلفوا فيها أحياناً. وأقدم آراء العلماء اللغويين المحدثين في الإشتراك اللفظي.

العالم الكبير من القرن الثالث عشر محمد بن علي الشوكاني صاحب كتاب "فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير" والذي يثبت فيه الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم. وقد عالج الكلمات المشتركة في تفسيره مثل كلمة: الأمة والدعا والصلوة والشهادة وغير ذلك وقد جاء بالمعاني المختلفة لها وفصل القول فيها تفصيلاً.

وأبو الفضل شهاب الدين سيد محمود الآلوسي البغدادي من العلماء المحدثين وله تفسير معروف متداول بين الناس في كل مكان وقد سماه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" وقد نص الآلوسي على عدد غير قليل من المشترك اللفظي ونبه على معانيها المختلفة ونخض بذكر منها كلمات: النكاح والدين والصلاة والرب وغير ذلك.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب،لاهور

الأستاذ الكبير والعالم الجليل في العصر الحاضر الشيخ محمد عبده يثبت الاشتراك اللفظي وقد جمع ما أثبتها ودونها تلميذه السيد محمد رشيد رضا تفسيره القرآن الكريم الشهير "بتفسير المنار".

وقد تناول الشيخ محمد عبده عدداً كبيراً من الكلمات المشتركة وفصل القول في معانيها بأسلوبه الخاص المفيد ومنها على سبيل المثال كلمة "الأمة" التي يقول عنها الشيخ "تتطق الأمة" في كتاب الله بمعني الملة أي العقائد وأصول الشريعة كما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾(1) بعد ما ذكر من شأن جماعة الأنبياء صلوت الله عليهم وكما قال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾(2) وقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾(3) وقد رجح كثير من المفسرين أن المراد من الأمة في الآيتين العقائد وأصول الشرائع. أي أن جميع الأنبياء والرسل على ملة واحدة ودين واحد كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ** ﴾(4) وقال كثير منهم إن الأمة في هذه الآية بمعنى الجماعة كما في قوله تعالى﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾(5) ولا تكون بمعني الجماعة مطلقا وإنما هي بمعني الجماعة التي تربطها رابطة إجتماع يعتبرون بها واحدا، وتسوغ أن يطلق عليهم اسم واحد كاسم الأمة، وتكون بمعني السنين كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ** ﴾(6) وفي قوله تعالى: ﴿ **وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ** ﴾(7) وبمعني الإمام الذي يقتدى به كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا** ﴾(8) وبمعني إحدى الأمم المعروفة كما في قوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ** ﴾(9) وهذا المعنى الأخير لا يخرج عن معنى الجماعة على ما ذكرنا وإنما خصصه العرف تخصيصاً.(10)

الأستاذ محمد المبارك من العلماء الذين يعتقدون وجود الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ويرى أن كثيراً من الألفاظ تدل على معان جديدة ومعان عامة وتستخدم في مسميات مختلفة تشترك في أكثر من معني وعلى سبيل المثال كلمة "الدليل":

1. التي تستعمل لمن يدل على الطريق
2. كما تستعمل الحجة والبرهان
3. وأيضا تستعمل لمن يدل الحجيج على المناسك
4. وكما تستخدم في الكتب التي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد للدلالة على معالمة.(11)

الدكتور علي عبد الواحد الوافي يعتقد بوجود المشترك اللفظي في اللغة العربية والقرآن الكريم ورأى أن الكلمة تشتمل على معان كثيرة وتطلق عليها على سبيل الحقيقة لا المجاز.

وقد ذكر كلمة: الخال فوجد أنها تطلق على أكثر من معنى حقيقي.

1. فقد تطلق على أخ الأم
2. والشامة في الوجه
3. والبعير الضخم
4. والسحاب
5. والأكمة الصغيرة

وقد ذكر الدكتور وافي كلمة "الانسان" في معان مختفة وهي:

1. تطلق على كل واحد من بني آدم
2. وناظر العين
3. والأنملة
4. وحد السيف
5. والسهم

وقد سرد كلمة أخرى وهي "الأرض" لها معان كثيرة وهي:

1. تطلق على واحد ما يقابل السماء
2. والنفضة
3. والرعدة
4. والزكام

وإتضح لنا أنهما فريقان، فريق ذهب إلى الاثبات وفريق ذهب إلى الانكار. وحسب الدكتور وافي أن كلا الفريقين إنحرف عن جادة الحق. وعند الوافي من العسير إنكار المشترك تاما وتأويل جميع أمثلة. وما ورد في مبلغ المشترك بنسبه الهلال، وهو أنه يؤيد الاشتراك تأيدا، ويقول أن الأمثلة نقلت عن معناها الأصلى إلى مجازية أخرى لعلاقة ما. ويفسر موقفه من كلمة الهلال ويستخدمها في المعاني الكثيرة ولو كان فريق يدعي فيها المجاز لوضوح علاقة المتشابهة بينها وبين هلال السماء. وإليكم أمثلة إستخدام كلمة الهلال في كتابه:

1. الهلال يطلق على هلال السماء
2. وعلى الصعيد
3. وعلى النعل (ذؤابته المشبهة للهلال)
4. وعلى الأصبع المطيف بالظفر

5. وعلى الحية إذا سلخت
6. وعلى الجمل الهزيل من كثرة الضراب
7. وعلى بافي الماء في الحوض

وكل ما فهمنا من ذلك. أنه قد فشا استخدامه في البيئات فلم ينظر إلى شئ من المجاز وصار إطلاقه عليها قوة إستخدام الشئ في حقيقته. وهذا ما رأى الدكتور وافي في الاشتراك اللفظي الحقيقي في اللغة العربية.(12)

وإعترف الأستاذ إبراهيم أنيس المشترك اللفظي وهو أنه يؤيد الاشتراك إذا لم يوجد أي صلة بين معنيين والأمثلة التي فيها الاشتراك الحقيقي وهي قليلة بل نادرة معدودة على أصابع اليد، عنده. والكلمات التي يقبل فيها الأستاذ إبراهيم أنيس الاشتراك اللفظي بدون تحفظ وهي مختلفة الصورة والمعنى ثم تطورت فاشتركت في الصور واختلفت في المعنى وأتي بكلمات منها: حربه حربا سلبه ماله، وحرب حربا اشتد غضبه. والكلمة الأولى أصلها حرم ثم قلبت الميم باء في لهجة من اللهجات العربية وأصبحا فعلا واحدا.

وذلك ما أثبت به الاشتراك اللفظي بتحفظاته وكما مزج بين المنهجين التاريخي والوصفي وإن كان قد اقتصر على أحدهما فما كان من المترددين فذلك أن كل فريق نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة والفريق الذي تأول أمثلة المشترك على أنها كلها من الحقيقة والمجاز، قد نظر إليها نظرة تاريخية وأما الآخرة فنظرته وصفية تزامنية وذانك المنهجان: التاريخي والوصفي الزمني الذان اختلطا عنده، فضعفت رأيه واتفقت رأي الدكتور علي عبدالواحد وافي مع الأستاذ إبراهيم أنيس إلى حد ما التي تظهرت في كتابه "في اللهجات العربية"،(13) و"حين تمر الأيام على تلك المجازات، يكثر استعمالها، لا تلبث أن تنسى الناحية المجازية فيها، تصبح معانيها حقيقية والبحث عن المجازات المنسية أمر ليس باليسير لأنه يتطلب التوغل في العصور التاريخية للبحث عن نصوص قديمة فيها إستعملت الكلمات بشكل مجازي واضح أو يتطلب عن تاريخ الحياة الاجتماعية لأمة الأمم لنستطيع الوصول إلى أن المعنى يبدو لنا الآن حقيقيا".(14)

الإمام المفسر محمد جمال الدين القاسمي يثبت الاشتراك اللفظي في القرآن اكريم. يشير الإمام الى عدة معان لكلمة "الحبل" وهي:

1. العهد:نحوقوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا**﴾(15) كما في قوله تعالى: ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ**

مِّنْ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾(16) القرآن: كما ورد في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: "ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة...".

2. العرق.(17)

المفسر الجليل والعالم الكبير محمد عزة دروزة يؤيد بالاشتراك اللفظي وقد عالج الأستاذ محمد عزة كلمة "الرب" ولها معان مختلفة وهي:

1. المعبود
2. والرئيس
3. وصاحب الشئ
4. والسيد(18)

صاحب التفسير الكاشف المفسر الكبير محمد جواد مغنية يؤمن بالاشتراك اللفظي في القرآن الكريم ويشير إلى كلمة "الرب" أنها كلمة مشتركة. ولها معان مختلفة:

1. السيد المالك، وكل من المعينين يصح ارادته هنا، ولكن معنى الخالق هو المتبادر من لفظ هذه الآية الكريمة(19) أي ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾(20)

قد عالج الأستاذ الشهير الدكتور محمد محمود حجازي الكلمات المشتركة في تفسيره: التفسير الواضح، وهو يشير إلى كلمة " الحبل" والمراد منها:

1. الإيمان
2. الطاعة
3. القرآن: لقوله ﷺ "القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد".(21)

وقد أشار إلى كلمة "الكوثر" ولها معنيان مختلفان:

1. الشئ الكثير قيل الأعرابية رجع ابنها من سفر. بم رجع ابنك؟ فقالت: رجع بكوثر
2. قيل هو نهر في الجنة.(22)

المفسر الكبير الشيخ إبراهيم القطان يعتقد أن الاشتراك اللفظي واقع في القرآن الكريم وقد فسر الكلمات المشتركة في تفسيره: تيسر التفسير "وهو يقول لكلمة "الرب" والرب في كلام العرب له ثلاثة معان:

1. السيد المطاع
2. والرجل المصلح الشئي

3. والمالك الشئ.(23)

قال أيضا: للفظ "الدين" معان كثيرة، منها:

المكأفاة والعقوبة.(24)

الأستاذ محي الدين الدرويش من المثبتين بالمشترك اللفظي وقد عالج الكلمات المشتركة في كتابه "إعراب القرآن وبيانه" ومنها: الحمد، والحبل وغير ذلك. نوضح الكلمة "الدين" كما فسر الأستاذ الدرويش:

1. الجزاء ويوم الدين: يوم الجزاء ومنه قول العرب: "كما تدين تدان" وقول الشاعر:

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

2. الطاعة: نحو قوله تعالى: ﴿ **فِي دِينِ الْمَلِكِ** ﴾(25)
3. الملة: قال المثقب العبدي:

تقول إذا درأت لها وضيفي أهذا دينه أبدا ودِيني(26)

يتحدث المؤرخ الكبير والعالم الجليل مصطفى الصادق الرافعي في كتابه: "تاريخ آداب العرب" أن المشترك عكس المترادف، لأنه مجيئ اللفظ الواحد لمعنيين فأكثر: كالأرض لهذا البسيط، ولأسفل قوائم الدابة، وللنقفضة والرعدة، وللزكام، وأرض الخشبة، وهو أن تأكلها الأرضة. وهذا لا شك في أن مأتاه من تعدد الوضع وتباين اللغات، لأن الألفاظ متناهية والمعاني لا تتناهي، فإذا وزعت هذه على تلك لزم الاشتراك واختصاص اللفظ الواحد بمعنيين أو أكثر. والقسم الأكبر من المشترك كلمات معدودة، أشهرها ما يتعلق عليه شعراء المتأخرين، وجملة ذلك خمسة ألفاظ وهي: العين، والخال، والهلال، والغرب، والعجوز.

وقد توسع المتأخرون من الشعراء في معاني هذه الكلمات لتبلغ بها أنفاس القوافي. لا جرم أن الاشتراك وجه من وجوه الوضع في اللغة، فإن أكثره راجع إلى الإتفاق والمجاز كما يقول مشى من المشي، ومشى إذا كثرت ما شيته، وكما نقلوا من أسما الطير لأجزاء الفرس، فسموا العظيم الذي في أعلى رأسه بالهامة وهو اسم طائر، وسموا دماغه الفرخ، والجلدة التي تغطي الدماغ بالنعامة، والعظم الذي تثبت عليه الناصية بالعصفور.... الخ وهي عشرون إسما.(27)

الأستاذ عباس أبو السعود من الأساتذة الذين يثبتون الاشتراك اللفظي في اللغة والقرآن الكريم وهو يشتكي إهمال بعض المثقفين الذين يستعملون اللفظ بمعنى واحد وهو المشهور حتى من هى مهنتهم ويعبر عنه قائلاً: "لهذا رأيت من واجبي أن أقوم بنصيبي في سد هذه الثلمة

وتذليل تلك العقبة" ورأى أبو السعود في تعدد المعنى وكثرتها نماء لمحصولهم اللغوي.

ويصف عباس أبو السعود الباحثين أن تحصيل معاني الألفاظ وحفظها مع فهم ثاقب ولب راجع وقرينة صافية ومن الكلمات المشتركة التي استعملها في تأيده منها: الثناء مقصور على الخير وفي الشر مثلا: أثنيت على فلان خيرا وبخير وأثنيت على غيره شرا بشر. وضرب لنا مثلا آخرا: كلمة "السيارة" على معنى تلك الآلة التي تحمل الناس وأثقالهم من مكان إلى آخر والحق أن لها معنى آخر هو القوم أو القافلة كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ** ﴾(سورة يوسف: 10) (28)

الأستاذ محمد السيد الداودي يؤمن بالاشتراك في القرآن الكريم وقد صنف بحثا: "المشترك اللفظي في القرآن الكريم" في كتابه من كنوز القرآن. وأورد أكثر من سبعين لفظا مشتركا في هذا البحث. وهنا نقدم كلمة واحدة من مختاراته وهي: "العبد" لها أربعة:

1. الأمان: نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ** ﴾(29)
2. اليمين: نحو قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ** ﴾(30)
3. الوصية: نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا** ﴾(31)
4. الزمن: نحو قوله تعالى: ﴿ **أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ** ﴾(32)

العالم العراقي محمود شيث خطاب من المثبتين بالاشتراك اللفظي وهو الذي صنف كتابا في "المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم" ويشير في كتابه إلى الكلمات المتشكرة مثل "الخال" لها معان كثيرة:

1. الغيم ، 2. والبرق، 3. الكبر، 4. واللواء يعقد للأمير، 5.والشامة ، 6.والجبل الضخم
7. والبعير الضخم وجمعه: خيلان، وأخيلة. (33)

كان الدكتور صبحي الصالح مشغوفا بالاشتراك اللفظي ومؤيداً له وهو يقول: "ما دام فقهاء اللغة يقررون أن الكلمة يكون لها من المعاني بقدر ما لها من الإستعمالات ومثل اللغة العربية عنده كمثل سائر اللغات فيها ألفاظ مشتركة. ويدور الإختلاف بين أصحاب الاشتراك والمنكرين وكما أن الأصمعي والخليل وسيبويه توسعوا في إيراد الأمثلة على المشترك اللفظي في شواهد عربية لا سبيل إلى الشك فيها، فإن طائفة من العلماء القدامي ترى في تلك الأمثلة وشواهد مصادفات محضة. وذكر صبحي الصالح دو رتداخل اللغات في استعمال الألفاظ المشتركة وأنه يعد

أبا على الفارسي من المعتدلين، لا يغالي فيها في إنكار الاشتراك مغالاة ابن درستويه ومبالغة الفريق الأول وهو يقول: "إتفاق لفظين واختلاف المعنيين ينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع واختلاف المعنيين ينغبي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون اللفظ تستعمل لمعنى ثم تستعار لشئ فتكثر وتصير بمنزلة الأصل".(34)
ونورد كلمة "الغروب" من مختارات الدكتور صبحي الصالح في ثلاثة أبيات يستوي لفظها ويختلف معناها:

يا ويج قلبي من دواعي الهوي إذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعتهم طرفى وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب
كانوا وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقاحي الغروب

فليس متعذرا أن يفهم من وحي السياق أن الغروب الأول: غروب الشمس، والثاني جمع غرب: وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غرب: الوهاد المخفضة.(35)

الدكتور إميل بديع يعقوب يؤمن الاشتراك اللفظي في اللغة وهو يقول: "كل كلمة لها عدة معان حقيقية غير مجازية" فهو لفظ مشترك.ثم يشرح أن الاشتراك اللفظي، ظاهرة لغوية موجودة في معظم لغات العالم، ومن التعسف إنكار وجودها في اللغة العربية، وتأويل جميع أمثلتها تأويلا يخرجها من هذا الباب. ففي بعض شواهده لا نجد بين المعاني التي يطلق عليها اللفظ الواحد أي رابطة تسوغ هذا التأويل. وقد كان له عند اصحاب البيدع، وبخاصة المتأخرون، مكانه مرموقة، فلولاه ما راجت سوق التورية والاستخدام والجناس التام وطرق التعمية والإبهام. وقد أعاد إميل بديع يعقوب سبب الاشتراك اللفظي في اللغة العربية إلى عوامل عدة منها: اختلاف اللهجات العربية القديمة والتطور الصوتي وإنتقال بعض ألفاظ من معناها الأصلي إلى معان مجازية أخرى لعلاقة ما والعوارض التعريفية. (36)

ولنا أن نفرغ إلى موقف الدكتور رمضان عبدالتواب من المشترك اللفظي وإتيانه بأمثلة من اللغات الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية وكثيرا ما ورد من مقاله يشبه بمقال الأكثرين من المثبتين لظاهرة الاشتراك اللفظي في اللغة العربية.

وذكر العوامل التي لعبت دوراً هاماً في تكوين المشترك في اللغة العربية منها الاستعمال المجازي واختلاف اللهجات واقتراض الالفاظ من

اللغات المختلفة. ومن الأمثلة التي أوردها في الاستعمال المجازي، تنوسيت المجاز وصار المعنى حقيقيا بقوة إستعمالها في المجتمع: كلمة عين تدل على عضو الأبصار سواء في الانسان والحيوان، والمال الحاضر والجاسوس وربيئة الجيش وخيار الشئ. وكذلك اللهجات العربية لها دور كبير في نشأة المشترك وحسب لهجات كثيرة لا نقطع القول بأن الكلمة قد استعملت في بيئة معينة لأن اللغويين لم يخبرونا أية بيئة معينة لكلمة إلا في القليل كيف يدرك المء كلمة العجوز كثيرة المعاني كانت تستخدم في العربية في بيئة واحدة. والحقيقة أن القبائل المختلفة التي كانت تعيش في مناطق مختلفة وبيئات مختلفة إستخدمت الكلمة حسب ظروفها وأحوالها فهذه الظرف والأحوال المختلفة لها حظ كبير في تكوين المشترك.

قد روى لنا أبو زيد أن قبيلة تميم كانت تطق كلمة "الألف" على الأعسر، وهو الذي يعمل بيده اليسرى أما قبيلة قيس فكانت تطلق هذه الكلمة على الأحمق. وقد إقترضوا الألفاظ من اللغات المختلفة لعل الكلمة المتقرضة تشبه في لفظها كلمة عربية، ولكنها ذات دلالة مختلفة فاللغة العربية استعارت من الألمانية كلمة كلب "Kalb" بمعني عجل فأصبحت الكلمة في العربية من الكلمات المشترك اللفظي، تدل على الكلب الذي نعرفه وعلى العجل.

وقد إتسعت مجال البديع بوجود كثرة المشترك اللفظي في اللغة وأعان الكتابيين والشعراء في تكوين الظاهرة التورية التي عبارة عن استخدام الكلمات المشتركة في معان غير متبادرة منها. وأيضاً استفاد منه بعض الناس حيلة للخروج من الضيق. وقد إهتم بجمع أربع مائة كلمة، ابن دريد في كتابه الملاحن، ظن فيها الاشتراك اللفظي.

وكما يتبين لنا الدكتور رمضان عبدالتواب ظاهرة التورية استخداما الكلمة "الحاجة" يقول أحد: والله ما سئلت فلانا حاجة قط. فإنه يقصد في نفسه من حاجة معني آخر غير الذائع لهذه الكلمة والحاجة ضرب من الشجر له شوق وهنا هو المعنى الغامض. (37)

الأستاذ الدكتور محمد خضر يثبت الاشتراك اللفظي في اللغة العربية وهو يحدد تعريف المشترك أن اللفظ الدال على معنيين فأكثر دلالة مستوية كإنسان: للفرد من البشر، ولإنسان العين، وهو الذي يتم عملية الأبصار وغير ذلك.(38)

وكثير من المشترك اللفظي يوجد في الأسماء غير أننا نجد المشترك في الحروف والفعل والمضارع وكذلك أشار الدكتور محمد خضر

إلى هذا الأمر وأكد السماع عن العرب فإنه يجد لها أثرا كبيرا في ثبوت المشترك ويفسر عنه بإستخدام الحرف "من" بعدة معان: للإبتداء، ولبيان الجنس، ولتبعيض وفيما رأى إشتراكا في المضارع، الحال والاستقبلال.(39)

العالم الجليل الدكتور عبدالحميد الشلقاني من المثبتين في الاشتراك اللفظي وقد عالج الدكتور الشلقاني كلمات مشتركة في كتابه "مصادر اللغة" وهنا نضرب لكم مثلا أن كلمة "الضرب" لها معاني مختلفة وهي:

1. الضرب: باليد، نحو قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ﴾(40) وكنحو قوله تعالى: ﴿ **وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ** ﴾(41)
2. الضرب: المسير: نحو قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾(42) كقوله تعالى: ﴿ **وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** ﴾(43)
3. والضرب: التبيين والوصف: نحو قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا** ﴾(44) وكقوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** ﴾(45)

وقد صرح الشيخ قاسم القيسي الكلمات المشتركة في كتابه "تاريخ التفسير" وهو من العلماء الذين يثبتون الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم واللغة العربية كذلك. وقد عالج عدة كلمات مشتركة منها: كلمة "الصريم" لها معان متنوعة:

نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ** ﴾(46) فيه أربعة أقوال:

1. أصبحت كالليل لأنها أسودت لما أصابها، والصريم في اللغة الليل
2. أصبحت كالنهار لأنها أبيضت كالحصيد ويقال مريم لليل والنهار
3. الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب
4. أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة. (47)

وهناك كلمة أخرى لها أربعة معان وهي "الحرد":

نحو قوله تعالى: ﴿ **وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ** ﴾(48)

1. المنع ، 2.القصد ، 3. الغضب ، 4.الحرد إسم الجنة (49)

وأشار الشيخ إلى كلمة مشتركة "القرؤ" لها معنيين مختلفين:

ونحو قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾(50) جمع قرء (بفتح القاف وضمها) فإنه مشترك بين الطهر والحيض.

ونحو كلمة "عسعس" من قوله تعالى: ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾(51) بمعني أدبر ظلامه، أو أقبل، فمن الأول قول القائل:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل كونه بمعنى أقبل في قوله تعالى: ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾(52) فإنه أول النهار فيناسب أول الليل وهنا نأتي بماثل آخر من الشيخ قاسم القيسي وهو "الغابر" نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾(53) أي من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا، ويأتي "الغابر" في اللغة بمعني:

1. المقيم ، 2. الباقي كقوله الهذلي: فغبرت بعدهم بعيش ناصب
2. الماضي 3. الذاهب (54)

و قد أورد أحمد حسن الباقوري كلام الآمدي وظن بكونه مؤيد الاشتراك في اللغة العربية إتفق مع حده وهو "أن يتفق وضع إحدى القبلتين للاسم على معني ووضع الأخرى له بإزاء معنى آخر من غير شعور لكل واحدة بما وضعته الأخرى ثم يشتهر الوضعان ويخفي سببه".

فقبيلة تضع اللفظ لمعنى وقبيلة أخرى تضعه لمعنى آخر، وتضع قبيلة ثالثة وينتقل هذا اللفظ من المتقدمين إلى المتأخرين نأتي مثلاً كلمة "عين" للنقد وللجارحة المخصوصة وللجاسوس وهكذا تنتشر كلمة "عين" دالا على كل من هذه المعاني.

وكما ذكر الباقوري من أسبابه الإجتماع والإختلاط كان ذلك أولى إلى كثرة الألفاظ المشتركة ومما لا شك فيه أن عرب الشمال وعرب الجنوب لغاتها متخالفة فهذه تميم تقول السدفة وتعني بها الظلمة بينما تقولها قيس وتريد الضوء وعلى مر الزمن أصبح القيسي يفهم من السدفة الظلمة والضوء معا. وكذلك تميمي.

قد جاء القرآن بالألفاظ المشتركة كما قال الأستاذ أحمد حسن الباقوري ورأى الأستاذ أن عصر تدوين العلوم جعل الرواة يردون على المنهل من أنحاء الجزيرة وخارجها وكان غرفهم وهي الأخذ عن أهلها الذين لم تفسد ملكاتهم فبسبب هذه الكثرة والاختلاط في الجزيرة العربية تكونت اللغة المشتركة وبينهم وتبادلوا كلماتهم وألفاظهم بينهم واندرجت كلها تحت إسم شامل وهو اللغة العربية. فلا نرى حاجة إلى القول بأن نبين هناك أسباب أخرى للاشتراك مثل الأسواق العربية الجاهلية.(55)

المفسر الجليل أحمد مصطفى المراغي من المثبتين للاشتراك اللفظي وقد عالج كلمة "اللباس" التي لها معان مختلفة:

1. نحو قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾(56) اللبس بالفتح الخلط أي لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل.(57)
2. نحو قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا** ﴾(58) أي وجعلنا الليل بظلامه ساترا للأجسام ومغطيا لها كاللباس الذي يغطى الجسم ويستره.

ولله در المتنبي:

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب(59)

صاحب "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" الدكتور وهبة الزحيلي يؤمن بالاشتراك اللفظي في القرآن الكريم وهو يشرح كلمة "الرب" وعنده معان عديدة لهذه الكلمة منها:

1. الملك ، 2. والسيد المعبود، 3. والمصلح ، 4. والمدبر، 5. والجابر ، 6. والقائم

وفي هذه الكلمة معني الربوبية والتربية والعناية بالمخلوقات.(60)

المفسير الجليل من العصر الحاضر وصاحب "الأساس في التفسير" سعيد حوي يؤمن بالاشتراك اللفظي في القرآن الكريم. عند سعيد حوي كلمة "الدين" كلمة مشتركة لها معان مختلفة:

1. نحو قوله تعالى: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾(61) أي يوم الجزاء(62)
2. نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ** ﴾(63) أي إن الله أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام(64)
3. نحو قوله تعالى: ﴿ **وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾(65) أي واعبدوه مخلصين له الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا(66)

العالم الكبير محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطى يثبت الاشتراك اللفظي في القرآن الكرين. وقد أشار الشنقيطى إلى الكلمات المشتركة في القرآن الكريم وهو يقول أن كلمة "الأمة" لها أربع معان في القرآن:

1. نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ**﴾(67) أي البرهة من الزمن(68)
2. نحو قوله تعالى: ﴿ **وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ** ﴾(69)
3. كقوله تعالى: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ** ﴾(70) أي الجماعة(71)

4. نحوقوله تعالى:﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا**﴾(72)أي استعمال"الأمة"في الرجل المقتدي به(73)
5. نحو قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ** ﴾(74) أي الشريعة والطريقة(75)

العالم الكبير محمد جمال الدين القاسمي يؤمن بالاشتراك اللفظي في اللغة العربية والقرآن الكريم. وقد عالج عدة كلمات مشتركة في كتابه: "تفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل "ككلمة" "الرب"،(76) والسلام(77) وغير ذلك.

وها هو العالم العراقي الكبير من اللغويين المحدثين الأستاذ محمد حيسن آل ياسين صاحب كتاب "الأضداد في اللغة" ساهم مساهمة كبيرة لإماطة الغشاء عن ظاهرة الاشتراك اللفظي في اللغة العربية وبين رأيه قائلا: حينما يتداول هذا المعني الذي أبهم به عن المعنى الحقيقي، ويشيع، ويصبح من المعاني التي تنصرف إليها الكلمة انصرافا حقيقيا، وتصبح الكلمة على هذا من المشترك حتى كانت الألفاظ المشتركة مادة صالحة للتورية والتجنيس عند المشغوفين بالمحسنات اللفظية والبديعية.(78)

وقد ذكر آل ياسين موقفا من المحدثين ومذاهبهم شتى حيث قالوا إن أكثر الألفاظ المشتركة كان سببها التطور الصوتي الذي طرأ عليها، ومع مر الأيام والليالي يترتب على كلمة ما أطوار صوتية ثم يصادف عليها الاشتراك متحد اللفظ ومختلفة المدلول. وبينا أن قد ذكرنا رأي اللغويين في عدم أي صلة بين الكلمتين المشتركتين، وحيث ذكر آل ياسين موقف من المحدثين بالعكس وحلله بأن الروابط المشتركة بين الكلمات ربما تلمح سلبية أو إيجابية. وفسر الأمر بذكر الكلمة الليث بمعني الأسد، وضرب من العنكبوت، واللسن البليغ، كلها مختلفة فوجدنا فيها اضطرابا كبيرا، وقرروا: "من التعسف حينئذ أن نعد مثل هذا من المشترك اللفظي الذي يشترط وضوح العلاقة بين المعنيين كالإنتقال من الحقيقة إلى المجاز أو التطور المعقول والمقبول في المعني وغير ذلك من عوامل المشترك اللفظي. (79) وقد تبين موقف آل ياسين من المشترك عندما دافع عن اللغويين القدامي كالأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي وأبي العميثل، إتهام محاكات الهنود فيما صنفوا فيما رصدوا لظاهرة المشترك في اللغة.

مهما يكن من الأمر، فإن فيه توسعا وتنوعا في استعمال القدر الكبير من الألفاظ المشتركة والمترادفة، وقد نمت بهما نموا كثيرا على صعيدي الألفاظ والدلالة. (80)

الأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين إمام من الأئمة في العصر الحاضر الذين يثبتون وجود الاشتراك اللفظي في اللغة العربية والقرآن الكريم. وقد ألف الدكتور شاهين كتابا في مجال الاشتراك اللفظي وسماه: "المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا". وعالج في هذا الكتاب هذه الظاهرة معالجة حسنة. ورد الأستاذ شاهين موقف المنكرين للاشتراك اللفظي قائلا: "أن المشترك على خلاف الأصل، ولكنه ورد بأساليب فصيحة لا سبيل إلى إنكارها، وسواء ورد من واضع واحد أو من واضعين، أو بسبب اختلاف لهجات القبائل، أو النقل والمجاز من لغة واحدة أو لغتين ثم مات المجاز، أو بسبب تطور صوتي.(81)

وقد أشار الأستاذ شاهين إلى كثير من علماء اللغة الذي حكموا بوقوع الاشتراك اللفظي في لغتنا، واطبقوا على ذلك ويقوي هذا لاحكم شهادة النحاة، وقد إستعمل الأدباء الاشتراك، وشرحه العلماء ورواية أمهات الكتب.... فلا سبيل إلى إنكاره. ولئن أسرف بعض المجوزين له بلا ضابط ولا رابط وبغير روية وإمعان...

فقد أسرف المانعون في القول بمنعه وعدم وقوعه في لغتنا.

ثم يشير الأستاذ شاهين إلى: الحل إذن هو التوسط: فلا مغالاة ولا إنكار، يعني الاعتدال هو الحل الوسط، وقد رضى ذلك كثير من العلماء المحدثين، لأن الظاهرة شائعة في لغتنا.(82)

وعند توفيق محمد شاهين المشترك واقع ملموس، وحقيقة لا خيال، وكثير لا قليل: فإذا ما ذكرت المعاني العديدة للفظ الواحد نحمد الله على ذلك.(83)

مفسر القرآن الكريم السيد عبدالله شبر (المتوفى 1242هـ) من العلماء الذين يثبتون الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم. وعلى سبيل المثال نأتي بمثال واحد من تفسيره: "تفسير القرآن الكريم". وهي كلمة "الكوثر" لها معاني مختلفة:

1-العلم 2- والنبوة 3- والقرآن
4-والشفاعة 5- شرف الدارين
6- نهر في الجنة وهو حوض النبي ﷺ.(84)

و في مسك الختام ، إن القرآن الكريم يطالب منا الفهم و الإدراك لكى يكون قارئ القرآن الكريم على معرفة من القرآن الكريم ويمهد طريقه إلى الفلاح و الصلاح فلا يمكن الفهم والبحث عن مطالب القرآن و معانيها إلا بالعناية على ناحية لغوية و دراسات عميقة.

نزل الله القرآن باللغة العربية و منذ ذلك الحين ارتبطت اللغة العربية بالقرآن الكريم.وخرجت من نطاق اللغات الأخرى،يقول الدكتور رمضان عبدالتواب :" لو لا القرآن لما كانت العربية"(85)

و عصارة جهدنا في اختيار المشترك اللفظي و هذا ما تنادي به فقه اللغة و هو أن نستخدم كلمة ما في المكان المناسب لها و اللائق بها.

الهوامش

1- سورة الأنبياء: 92 2- سورة المؤمنون: 51

3- سورة المؤمنون: 52 4- سورة آل عمران: 19

5- سورة آل عمران: 104 6- سورة هود: 8

7- سورة يوسف: 45 8- سورة النحل: 120

9- سورة آل عمران: 110

10- رضا، محمد رشيد: تفسير المنار،دار المعرفة، بيروت،الطبعة الثانية،ج:2،ص:.286

11- محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر،بيروت،الطبعة الثالثة،1968م.ص: 198

12- وافي، على عبدالواحد: فقه اللغة،دار نهضة مصر للطبع و النشر،القاهرة، ص: 189-190

13- أنيس، الدكتور إبراهيم: في اللهجات العربية،مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة السادسة،1984م،ص: 184

14. المرجع السابق

- وأنيس، الدكتور إبراهيم: دلالة الالفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية،الطبعة الرابعة،1980م،ص: 209-210

15- سورة آل عمران: 103

16- سورة آل عمران: 112

17- القاسمي،محمد جمال الدين:تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل،تحقيق و تخريج محمد فؤاد عبدالباقي،دارالفكر، بيروت،الطبعة الثانية،1987م.ج:4،ص:170-171

18- دروزة، محمد عزة: تفسير الحديث،دار إحياء الكتب العربية،1962م،ج:1، ص:17

19- مغنية، محمد جواد: تفسير الكاشف، دار العلم للملايين،بيروت،الطبعة الأولى،1968م.
20- سورة الفاتحة: 1
21- حجازي، الدكتور محمد محمود: التفسير الواضح،دار التفسير ، القاهرة،الطبعة العاشرة،1980م.ج:1ص:10
22 -المرجع السابق، ج :3، ص:30، 85
23- القطان، الشيخ إبراهيم، تيسير التفسير، راجعه و قام بضبطه و الإشراف على طباعته عمران أحمد أبو حجلة، الطبعة الأولى،1987م.ص: 40
24- المرجع السابق، 42
25- سورة يوسف: 76
26- الدرويش، محي الدين: اعراب القرآن وبيانه، مؤسسة الإيمان،الطبعة الثانية،1983م.ج:1،ص:13
27-الرافعي،مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب ، ،دار الكتاب العربي،بيروت،الطبعة الرابعة،1974م.ج:1،ص:193
28- أبو السعود،عباس:شموس العرفان بلغة القرآن،دار المعارف،القاهرة،مصر. ص:223
29- سورة التوبة: 4
30- سورة النحل: 91 31- سورة آل عمران: 183
32- الداودي، محمد السيد: من كنوز القرآن،دار المعارف، القاهرة،1973م.ص:47
33- خطاب، محمود شيث: المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم،دار الفتح للطباعة و النشر،بيروت، الطبعة الأولى،1966م.ج:1، ص:229
34- صبحي الصالح، الدكتور: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين،بيروت،الطبعة السابعة، بيروت،1982م. ص: 300-307

35- المرجع السابق، ص: 308
36- يعقوب، إميل بديع: فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين،بيروت، الطبعة الأولى، 1978م. ص: 178-181
37- عبدالتواب، الدكتور رمضان: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي ، القاهرة، الطبعة الثانية ،1980م. ص: 326-334
38- محمد خضر: فقه اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة خاصة،1981م. ص:280

39- المرجع السابق، ص:280-282 40- سورة محمد: 4
41- سورة النساء: 34 42- سورة النساء: 94
43- سورة المزمل: 20 44- سورة النحل: 112
45- سورة النحل: 74
46- الشلقاني، الدكتور عبدالحميد: مصادر اللغة، ص: 43
47- القيسي: الشيخ قاسم: تاريخ القرآن،مطبعة المجمع العلمية العراقية،1966م.ص:31
48- سورة القلم: 25 49- المرجع السابق
50- سورة البقرة: 228 51- سورة التكوير: 18
52- سورة التكوير: 18 53- سورة الأعراف: 83
54- المرجع السابق،ص: 32-33
55- الباقوري، أحمد حسن: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة.ص: 67-70
56- سورة البقرة: 42
57-المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي،دار الفكر ،بيروت ،بدون تاريخ .ج: 1، ص: 79-98
58- سورة النبأ: 10
59- المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي،ج: 30، ص: 8
60-الزحيلي، الدكتور وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،دار الفكر،بيروت،الطبعة الأولى،1991م.
ج: 1، ص: 56
61- سورة الفاتحة: 3
62- حوي، سعيد: الأساس في التفسير،دار السلام، الطبعة الأولى،1985م. ج:1، ص:41
63- سورة البقرة: 132
64- حوي، سعيد: الأساس في التفسير، ج:1، ص:277
65- سورة الأعراف: 29
66- حوي، سعيد: الأساس في التفسير، ج:4، ص:1886
67- سورة هود: 8
68- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،المكتبة التجارية،مكة المكرمة،1995م.ج:2 ، ص:174
69-سورة القصص: 23 70-سورة يونس: 47

71- المرجع السابق 72- سورة النحل: 120
73- المرجع السابق 74- سورة الزخرف: 22
75- المرجع السابق
76- القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل،تحقيق و تخريج محمد فؤاد عبدالباقي،دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية،1987م. ج:1،ص:8
77- المرجع السابق،ج:2 ،ص:173
78- آل ياسين، محمد حسين: الأضداد في اللغة،مطبعة المعارف،بغداد.الطبعة الأولى،1974م. ص: 47
79- آل ياسين، محمد حسين: الأضداد في اللغة، ص: 48-49
80- المرجع السابق، ص: 88
81- شاهين،الدكتور توفيق محمد: المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا،مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة الأولى1980م.ص:70
82- المرجع السابق،ص: 70-71
83- المرجع السابق، ص: 105
84- شبر، السيد عبدالله: تفسير القرآن الكريم،ص: 567
85- عبدالتواب، الدكتور رمضان: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ،1980م. ص:108

****